المشرق

الحنّاء

مقالة لانطون افندي عرب صيدلي مدرسة باريس العُليا سابقاً

١ تاريخ الحناء

الحنّاء نبات عرفهُ القدماء منذ اجيال عديدة كان لهُ في طبّهم شأن خطير. والعبرانيون دعوا الحنّاء آلكُفر (כֹּפֶר) كما جاء في الاسفار المكرّمة. ولعلّ اليونان اخذوا عنهم اسمها اليوناني فدعوها كِبروس (κύπρος) (١ ونقلها الرومان الى لغتهم فسمّوها سيبروس (cyprus) ولها عند النباتيين اسمٌ اصطلحوا عليه بينهم وهو لَوسونيا (Lausonia)

والحنّاء من نبات الشرق بلا مشاحّة بيدَ انّهُ لم يُعرف بلدها الاصليّ ومن المرجّح انّها من نبات جزيرة العرب امتدّت من ثمّ الى بقيّة الاقطار. وكانت في اوائل النصرانية شائعةً في بلاد كثيرة. قال پلينيوس الطبيعيّ (٢ : « الحنّاء شجرة في مصر ورقُها كورق العنّاب وحبُّها كالكزبرة . . . واجودها الصّنف الذي يجلبهُ التجّار من مدينة قاتوب على ضفّة النيل ودونهُ الصنف العسقلانيّ في اليهوديّة ثم الصنف القبرسيّ والحنّاء نبات طيّب الرائحة. وقد زعم البعض انّهُ هو الذي يُدعى في ايطالية باسم ليغسترم (ligustrum)». وقد وصف ايضاً ديوسقوريدس وجالينوس ما كان للحنّاء في زمانهما من الشهرة

وقد شاعت الحنّاء في القرون المتوسطة وامتدّت امتدادًا عظيماً بامتداد دولة العرب ولاكثر اطبّاء العرب في الحنّاء كلام مطوّل لاسيّما ابن سينا وابن زهر وابن ماسويه وابن رضوان وابن البيطار فاطرأوا هذا النبات واستوعبوا ذكر خواصّهِ. وهي اليوم تنبت

١) وكِبروس ايضاً باليونانية اسم جزيرة قبرس لان اليونان سمّوا الحنّاء بذلك لانّها كانت تأتيهم من هذه الجزيرة

٢) راجع كتابهُ في تاريخ الطبيعة (Pline : *Hist. Nat.* XII, §1)

في بلاد كثيرة كالهند وجزيرة سيلان والبلاد العربية وفارس ومصر وفي شرقيّ افريقية وشماليها الشرقيّ وفي غربي آسية

٢ وصف الحنّاء وتعريف انواعها

الحنّاء من صنف النبات المعروف عند العلماء بفصيلة الليترارية (Lythrariée). انفع ما فيها اوراقها وهي خضراء اللون قصيرة المنبت بيضية محدّدة تامة الاطراف. وهذه الاوراق متقابلة طولها بين سنتيتر وثلاثة سنتيمترات وعرضها سنتيتر. وازهارها على شكل عنقود بيضاء اللون عطرة الريح. وثمرها مشيمة مستديرة تحتوي بزورًا عديدة. وقد وصفها ابو حنيفة بما حرفهُ قال: «الحنّاء شجر كبار مثل شجر السدر ولهُ فاغية وهي نَوْرهُ. وبزرهُ عناقيد متراصفة. اذا انفتحت اطرافها شبّهتها بما ينفتح من الكزبرة الّا انهُ اطيب رائحةً. واذا تحاتَّ نَوْرهُ بقيت لهُ حبّةٌ غبراء صغيرة اصغر من الفلفلة... وفاغية الحنّاء تخرج امثال العناقيد وينفتح نوار صغار فتُجتنى منهُ... وانما تُطحن الحنّاء من ورقهِ وتنوّر في السنة مرّتين». وروى ابن بيطار من ديوسقوريدس وصف الحناء فقال: «انّ ورق شجر الحنّاء شبيه بورق الزيتون غير انهُ اعرض منهُ وألين واشدّ خضرة ولها زهر ابيض شبيهٌ بالأُقحوان طيّب الرائحة وبزر اسود...»

هذا والحنّاء انواعٌ اشهرها الحنّاء الشائكة (Lausonia spinosa) التي يتّخذ اهل الهند أُصولها لمعالجة امراض الجلد وفيها اشواك صلبة حادّة تنبت في اصل الاوراق. ويقرب من هذا النوع نوع آخر يُعرف بالحنّاء البيضاء (Lausonia alba L.) وهو ذو فروع متقابلة اسطوانية مُشوكة في الغالب واوراقهُ قصيرة

امّا النوع الشائع في بلادنا الشاميّة وفي بلاد العرب والعراق فلا شوك فيهِ فلذلك دعي بالحنّاء العزّلاء (Lausonia inermis) وهو يُعرف بشذا عطر ازهاره وهي الرائحة المشهورة بتسر الحنّاء. وفي هذا النوع كلّ خواصّ الحنّاء المتّخذة في التجارة للصبغ (انظر الشكل ص ٩١٥)

٣ تحليل الحنّاء

اوّل من حلّل الحنّاء تحليلًا كيميًا مدقّقًا انما هو الدكتور بَنكيس سنة ١٨٨١. وقد جدّد الدكتور اهرمان (Eherman) هذا التحليل فوجد فيها آثارًا من موادّ تَلَوّيّة مع موادّ دهنيّة ونوعًا من الراتينج يذوب في الماء ثمّ شيئًا من الحامض العفصيّ ومادّة ملوّنة

خضراء دعاها عبد العزيز الهروي المادّة الحنائية الفصية (Hennotannique) هذا فضلًا عن اقسامٍ من السكّر والنشا والالبومين النباتية ومواد صمغية وليفية

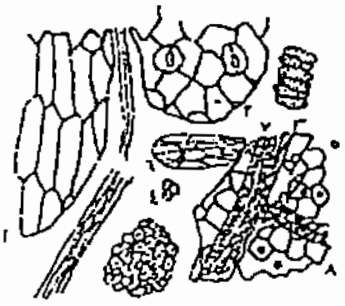

سحوق الحناء كما يُرى في المجهر

١ قشرة ورق الحنّاء العليا
٢ القشرة السفلى
٣ و ٤ خلايا الحنّاء في النسيج النباتي
٥ مسام الحنّاء النباتية ٦ لِيف الحنّاء
٧ جليدة دقيقة موقعها بين عرد الحنّاء والقشرة الخارجية ٨ تبذور الحناء

فروع شجرة الحناء بزهرها

والحنّاء تستعمل على صفة سَحُوق وذلك بان تجفّف اوراقها وتُدقّ دقًّا منعّمًا فيحصل من ذلك سحوق ذو لون اشهل مزعفر ضارب الى الخضرة رائحتهُ شديدةٌ خاصّة به واذا بقي هذا السَّحوق في الهواء مدّة احرَّ. واجود انواع الحنّاء المدقوقة تُجلَب من الحجاز وبغداد ومصر ويفضَّل الصنف المكّي لحسن صبغهِ وهو يبقى زمنًا طويلًا لا يصيبهُ فساد او تغيير

اما حنّاء بغداد فليس لها من الشهرة ما للحنّاء المكّيّة وهي دون هذه من حيث قوّتها الصابغة وصبرها على الزمان بلا فساد. ولعلَّ هذا الاختلاف بين الصنفين ناتجٌ عن

خواصّ التربة التي تنبت فيها الحنّاء او يصدر من اختلاف تهيئتها في كلّ بلد. وربّما خُلطت الحنّاء بشيء من الرمل والرمل في الحنّاء المكّية اقلّ منهُ في غيرها لاسيما الحنّاء المصريّة ولذلك تُؤثر الحنّاء العربية على المصريّة

٤ فوائد الحنّاء

١ (فوائدها الطبّية). كان استعمال الحنّاء شائعاً عند الاطبّاء الاقدمين فتراهم يعدّدون في كتبهم ادواء كثيرة يزعمون انّ دواءها الناجع هو الحنّاء. فانّ بلينيوس الطبيعي (ك ٢٣ ع ١٦) وبعدهُ ديُوسقوريدس وجالينوس ذكروا انّ اوراق الحنّاء تُطبخ وتُضمّد بها الاعضاء المحترقة فتشفيها وانّها تُستعمل في مداواة الاورام الملتهبة والقروح التي تكون في الفم. وقد زاد العرب على اقوال الاقدمين اشياء كثيرة امتحنوها بالتجربة منها انّ الحنّاء اذا سُحقَت وضُمّدَت بها الجبهة مع الخلّ سكّنت الصُداع ومنها انّ الحنّاء تصلح لارجاع الطحال اذا خُلطت بالادوية الخاصّة بهذا الداء.

وممّا ذكرهُ ابن البيطار في الكلّيّات عن ابن رضوان ما نصّهُ: اخبرني من أثق بهِ انّهُ شاهد رجلاً تقشّرت اظافير اصابع يديهِ وانّهُ بذل لمن يُبرئهُ شيئاً كثيراً فلم يجد. فوصفتْ لهُ امرأة ان يشرب عشرة دراهم حنّاء فلم يجسر ان يشربها فنقعها ماء وشربهُ فرجعت اظافيرهُ الى حسنها. وقال انّهُ رأى على المكان اظافيرهُ قد اخذت تنبت من اصولها الى ان تكامل حسنها

وممّا شاع عند العرب من خواصّ الحنّاء انّها تقوّي الشعر وتمنع من سقوطهِ وتُنبتهُ. نقل ابن البيطار عن بعضهم انّ الحنّاء اذا عُجنت بزيت وقطران وحُملت على الرأس انبتت الشعر وحسّنتهُ. واهل الجزيرة والعراق يتّخذون الى يومنا هذا الحنّاء فيعجنونها مع الزبق ويدهنون بها رؤوس الاطفال فتقتل ما تولّد فيها من الهوامّ القذرة

٢ (فوائد الحنّاء الخضابية). لا يخفى ان الشرقيين قد اكثروا على ممرّ الدهور من استعمال الحناء في الخضاب طلباً للزينة والتبرج. وعلى الخصوص النساء فانّهنّ لم يزلنَ الى اليوم مُولَعات بالتخضّب بهذا النبات يتّخذنَ لذلك اوراق الحنّاء طريّةً او يسحقنها سحقاً ناعماً ويطلينَ بها ايديهنّ وارجلهنّ. فبُعيد بضعة ساعات تتمكّن الحنّاء من الجلد فيختضب بلون احمر يرتقالي وللنساء في ذلك طرائق يتأنّقنَ بها ويتفنّنّ. وكان الاختضاب بالحنّاء في سالف الزمان من شارات الشرف لم يُرخّص للعبيد باستعمالهِ

على انّ في الاختضاب بالحنّاء فوائد صحيّة فضلًا عن الزخرفة لأنّ في الحنّاء كما سبق مادّةً عفصيّة قابضة فاذا طُلي بها الجلد تقلّص وضاقت مسامُهُ فينقص لذلك رَشْح العرق وتحلُّبهُ من الجسم وذلك ممّا يمكّن صاحبهُ من احتمال شدّة حرارة الهواء

ومن الامور الحريّة بالاعتبار انّ كثيرًا من نساء بلادنا يتداوينَ بالحنّاء اذا اصابت ايديهنّ فلوعٌ او شقوقٌ فترى الفعّالات يختضبنَ ليستطعنَ احتمال سخونة الماء الحارّ ويتعالجنَ من اذاهُ بعد الغسيل. ولم يقتصر نساء الشرق على استعمال الحنّاء بل ترى ايضًا فضلًا عنهنّ كثيرين من الرجال يخضبون شعرهم او لحاهم بالحنّاء فرارًا من بياض الشيب فتلوّن شعورهم بلون الشقرة. وان حاولوا خضبهُ بالاسود خلطوا الحنّاء بشيء من العفص او الشبّ. وربّما صبغ العرب شعر خيلهم او ظهور اغنامهم بالحنّاء استحسانًا للونها. هذا ولا يُنكَر انّ الشعر يقوى اذا صُبغ بالحنّاء فلا يسقط متناثرًا. وما يزيد الحنّاء قبولًا لدى من يستعملها انّها لا تؤثر في تغيير صفات الشعر الطبيعية كغيرها من الاصباغ

٣ (فوائد الحنّاء الصناعيّة). الحنّاء في الصنائع عملٌ مشكور. وكان القدماء يأخذون نَوْر الحنّاء فيستودعونهُ بين طيّ ثياب الصوف فتطيّبها وتمنع السوس من ان يفسدها. وكانوا يستقطرون من زهرها دهنًا ذا رائحة طيّبة يتعطّرون بهِ ويطيّبون بهِ الزيوت ويستعملونهُ في تحنيط الموتى

وفي زماننا قد اتخذهُ اهل الصنائع لصبغ الخشب الابيض فآل اختبارهم الى نتيجة مرضية وحصلوا على خشب متلوّن بلون خشب الاكاجو

وجرّبوهُ ايضًا في صبغ منسوجات الحرير والصوف والقطن فأتت تجاربهم بالمرغوب. ولا بدّ لذلك ان تنظّف هذه المنسوجات عن موادّها الدهنيّة بان تغمس في محلول يتركّب من كربونات السودا. ثمّ يصبغ بمغلي الحنّاء ويثبّت عليها لون الصبغ بغمرها في ماء يحتوي شيئًا من الاملاح التي من شأنها تمكين اللون وتنويعهُ حسب المرام

وكنّا نودّ ان نختم هذه النبذة بذكر الموادّ التي تُزيَّف بها الحنّاء في التجر الّا انّ ذلك يخرجنا عن حدود الاقتصار الذي تحرّيناهُ. وفي ما سبق كفاية لذوي الالباب النيّرة

لكنّنا نبدي الامل بان يعتني اصحاب الامر وارباب الفلاحة بزرع هذا النبات المفيد وتوفيرهِ في اقطارنا الشرقية. فانّ تربة بلادنا تصلح لهُ صلاحًا تامًّا فتكون زراعتهُ وسيلة جديدة لتوسيع الثروة بين الاهلين وتحسين اسباب الصناعة. والله المرشد الى الصواب